مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) أيار : سنة ١٩٢٩ م الموافق ذي القعدة وذي الحجة سنة ١٣٤٧ هـ

الاندلس(١)

« عبرة وذكرى »

ما ذكرت الاندلس مرة الا امتلكت نفسي بهجة وفجعة ، ما تزالان بي تتجاذبان دمعة من عيني حتى أرسلها ، وانا بعد لا أدري أجذلاً أرسلتها ام جزعا .

وكيف لا أجتذل وذكرى الاندلس تعود بصاحبها الى السنة الثانية والتسعين للهجرة ، اذ نحن والامر امرنا ، واذا الوليد ، وقد ربض في هذه العاصمة : دمشق ، ربضة الأسد ، وانتشرت ولاته في ما فتحه العرب من البلاد شرقاً وغربا ، فكان منهم على إفريقية(٢) موسى بن نُصَير ، وتأبى على موسى همته ان يقف دون الفتح بحر ، فيغزي مولاه طريفاً اسبانيا فيلم بها الماماً لينا لا يتعدى مايعرف الى اليوم بمدينة طريف اوطريفة كما يقول الاسبان . فيبعث موسى ثانية جيشاً اكبر ، يعقد لواءه لمولاه طارق بن زياد ، فيكون طارق فوق ظن مولاه به ، يواقع الجزيرة ويظهر على صاحبها ، ويهزم جيشه الضخم ، ويتتبع فلوله حتى يقضي عليها ويتوغل في البلاد غازياً فاتحا ، فتعنو له مستسلمة صاغرة ، ويهتاج هذا الفتح طماعية موسى فيأمر طارقاً بالوقوف ، حيث انتهى به الفتوح ،

(١) محاضرة الاستاذ عارف بك النكدي القاها في بهو المجمع العلمي في شهري آذار ونيسان سنة ١٩٢٩ .

(٢) إفريقية لفظ أطلقه العرب على المغرب الاقصى عامة وتونس منه خاصة لا كما يطلق اليوم على القارة بجملتها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و يجتاز بنفسه البحر في جيش لجب ، فيمضي في الفتح ، وقد جعل هدفه القسطنطينية يقطع اليها البلاد فاتحاً حتى يعود الى المشرق عن طريقها .

وتنتهي الولاية في هذه الجزيرة الى عبدالرحمن الغافقي فيجتاز جبال البرانة او الثنايا ويصل الى تور[1] وهي في قلب مملكة شارلمان .

ايلام العربي مع هذه الذكرى ، ان هو اخذته عظمة الماضي فنسي لمحة من اللمحات انه ابن هذه الامة العربية المستضعفة اليوم لكل جيل ، المستعمرة في كل قطر ، فذهب به التيه بهذا المجد الغابر ، حتى خيل اليه انه يسير في جيش الفتح ، يسمع قعقعة السيوف ، وجرجرة الرماح ، وعجعجة المجاهدين .

* * *

ثم كيف لاينقطع القلب حزازة ، متى رجعت الذكرى الى ما كان من فشل هذه الغزوة ، وكيف ملأ قومنا ايديهم بالغنائم فشغلتهم عن الحرب ، وعن كل تفكير الا فيها ، فأصيب صاحبنا الغافقي اصابة كانت فيها روحه .

ثم كيف تفرق العرب في الاندلس نفسها وتنازعوا الرئاسة ، فانشق الاخ عن اخيه ، وثار الابن على أبيه ، ففشلوا وذهبت ريحهم . استسلموا لعدوهم فراراً من الموت ، فوقعوا في العار وفي الموت .

ماترك الاسبانيول حيلة في الظلم والتفظيع الا اوقعها بهم . حُرِّقوا ، وغُرِّقوا ، وبقرت بطونهم ، وسملت عيونهم ، وقطعت أيديهم وأرجلهم ، واستُعبدوا وأُذلوا ودجنوا . ثم انهم أزعجوا عن ديارهم — الا من بدل دينه تبديلاً صحيحاً — فخرجو خروج الغريب عن البلد الغريب .

أذكر هذا فأحس في قلبي وقع هذه المظالم ، وأسمع باذني ابا البقاء يقول :

دهى الجزيرة امر لا عزاء له ... هوى له أُحد وانهد ثهلان

اصابها العين في الاسلام فارتزأت ... حتى خلت منه أقطار وبلدان

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية ... واين شاطبة ام اين جيان

(١) عاصمة مقاطعة تورنيا على ٢٣٦ كيلو متراً الى الجنوب الغربي من باريس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

واين قُرطُبة دار العلوم فكم ... من عالم قد سما فيها له شان
واين حمص وما تحويه من نزه ... ونهرها العذب فيـاض وملآن
قواعد كن اركان البلاد فما ... عسى البقـاء اذا لم تبق اركان

* * *

يا من لذلة قوم بعد عزهم ... احال حالهم جور وطغيان
بالامس كانوا ملوكاً في منازلهم ... واليوم هم في بلاد الضد عبدان
فلو تراهم حيـارى لا دليل لهم ... عليهم من ثياب الذل الوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم ... لهالك الامر واستهوتك أحزان
يا رب أم وطفل حيـل بينهما ... كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس اذ طلعت ... كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة ... والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ ... ان كان في القلب اسلام وايمان

الائمي انت بعد ، اذا انا لم ادر ادمعة الجزل ارسلت ام دفعة الجزع ؟

بلى لقد صدق ابوالبقاء ، فما لمصاب العرب بالاندلس عزاء ، ولا لجرحهم فيها شفاء ، وانى يكون ذلك والخطب منقطع النظير ، خص العرب وعم الانسانية جمعاء .

واذا كان العرب قـد تركوا التفجع والتوجع فما فعلوا ذلك لبعد الصقع ، والعربي الحق يرى في كل بلد عربي موطناً له ، ولالبعد العهد ، وار بع مئة سنة ليست في التاريخ شيأ ، فتنسى بلداً كالاندلس عمره اجدادنا ثمانية قرون كاملة فأنشأوا فيـه حضارة عزّ مثلها ، فكانت احدى مفاخر العالم على وجه الدهر .

كلا لا هو بعد الشقة ، ولا هو بعد العهد ، انسى العرب ذلك العهد ، ولكنهـا المصائب تترى آخذاً بعضها برقاب بعض الهت كل قطر عن غير نفسه . فأي بلد عربي وليس فيه جراحة ما تأتلي تمض احشاءه ، وتنتقص اجزاءه ، حتى شغلته عن البكاء على امسه بالبكاء على نفسه . (يبكي ومن شر السلاح الادمع)

ولسنا من المبالغة في شيء ان نحن قلنا ان حضارة العرب في الاندلس كانت احدى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مفاخر العالم وان مصاب العرب بها عم الانسانية جمعاء .

فمن كان قد علق بذهنه شيء مما تمليه ارساليات الغرب في تصغير شأننا ، وتهوين امرنا فداخله شك في كلمتنا ، فليرجع الى ماوصف به المؤرخ الافرنسي (لافاله Lavallée) مدنية الاسلام باسبانية وما اتى به من بيان مزايا العرب هناك في الصناعة والزراعة والغراس والبناء ، ووصف قصر اشبيلية ، وحمراء غرناطة ، وجامع قرطبة ، وخصائص الهندسة العربية ، والزخرف الشرقي ، واسلحة الاندلسيين . وقد قرر ان العرب هم اول من استعمل المدافع النارية في اوربا ، وانهم هم الذين هدوا الاوربيين الى صناعة البارود ، وعرفوهم بصناعة أخرى أشد تأثيراً في الاجتماع الانساني وهي عمل الورق .

قال : وانهم في جميع الفنون فاقوا المسيحيين وبلغوا الدرجة القصوى من الحضارة ، حينما كان أقرانهم ملفوفين في حنادس الجهالة والبربرية ، فكانوا فوقهم في العلم ، ومثلهم بالبأس ، وكانوا حكماء في المجالس ، أشداء في المآزق » [1] .

ثم ألق بسمعك الى مايقوله (كولود فرّار Claude Farrère) عن هذه الحضارة ، في مقدمة العباسة اخت الرشيد ننقله كلمة كلمة :

« أناخت على الانسانية في السنة الثانية والثلاثين بعد السبعمائة للميلاد كارثة لعلها أسوء ما شهدته القرون الوسطى ، تخبّط من جرائها العالم الغربي سبعة قرون اوثمانية قرون بل تزيد ، في لجة من الهمجية ، بدأت (النهضة) تقشع ظلماتها ، فعادت حركة (الاصلاح) تزيد فيها من جديد .

هـذه الكارثة التي أريد ان احتقر ذكراها ، هي ذلك النصر الهائل الذي احرزته غير بعيد عن « بواتيا » جماعات « الهركاس » المتوحشين من مقاتلة « الفرنك » يقودها شارل مارتال الكرلونجياني على فِرق من العرب والبربر فشلت لان الخليفة عبدالرحمن ؟! أخطا فلم يحشدها اكثر مما كانت عدداً .

في هذا اليوم المشؤوم تقهقرت الحضارة ثماني مائة سنة . وحسب الانسان ان يكون قد تنزه في جنائن الاندلس ، او خطر بين أطلال لاتزال بعد تبهر الابصار ، من عواصم

(١) خلاصة تاريخ الاندلس للامير شكيب أرسلان ص ٣٦٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السحر والخيال التي كانت عليهما اشبيلية وغرناطة وطُليطُلة ، ليتراءى له في شيء من الدوار المعجب ما كان يمكن ان تصل اليه فرنسا ، لو ان الاسلام الصناعي الحكيم الرصين المتسامح — اذ الاسلام هو كل هذا — استطاع ان ينتزع وطننا فرنسا من فظائع لاتجد لها اسماً اجتاحت بعد ذلك الغول القديمة : استعبدها بادئ الامر (الاوستراز يان Anstrasiens) اولئك السلابون الضواري ، ثم اقتطع القرصان النورماند (Normandes) اول قسم منها . ثم تجزأت وتمزقت وغرقت في بحور من الدماء والدموع ، واخلتها الحروب الصليبية من السكان ، وملأتها الحروب الخارجية والأهلية جثثاً ، كان ذلك يوم كان العالم الاسلامي يتمتع بلذة السلم من نهر وادي الكبير الى نهر الهندوس ، في كنف الخلافات الاسلامية الاربع : الأموية والعباسية والسلجوقية والعثمانية .

واذا كان (فرّار) ختم مقالته ذاهباً مذهب الخيال والاغراق ، في السلم الذي وصفه في ظل الخلافة ، فلقد كان مؤرخاً حقاً وهو يتغنى بحضارة الاندلس ، وكان مخلصاً صادقاً وهو ينعي على قومه ان يفخروا بيوم (بوانيا) اليوم الذي تراجعت فيه جيوش العرب مندحرة ، فصدمت الحضارة العربية صدمة لم يكن من مصلحة العالم المتمدن ان تكون .

بل مالنا ولما قاله (لافاله) المؤرخ الفرنسي الخطير ، وما كتبه (فرّار) الكاتب الفرنسي الكبير ، ولنعد الى ما كان من الاسبان انفسهم في الفترة الأخيرة .

فالاسبان وهم الذين لا يفتأون يحتفلون باليوم الثاني من شهر كانون الثاني ، وهو اليوم الذي في مثله من سنة ١٤٩٢ خرج ابو عبدالله آخر ملوك بني الأحمر من عاصمة الاندلس ، ذلك الاحتفال الفخم ، فتقرع فيه أجراس كنيسة الحمراء اربعاً وعشرين ساعة قرعاً متواصلاً .

هؤلاء الاسبان انفسهم قام منهم نفر من علماء المستشرقين ، تحللوا من قيود التعصب ، فنزعوا ما ألقاه على اعينهم من غشاوة ، فاذا هم يبصرون تلك الحضارة العربية الفتانة ، وما فيها من عظمة وفن وجلال ، فتشجبهم صبابة منها ، ابقت عليها نزعات الجهل القديم ، والتعصب الذميم ، فاذا بها الى اليوم مفخرة اسبانيا الكبرى ، ومورد من موارد الرزق فيها .

وبينما الاسبانيول يحتفلون بذكرى جلاء العرب عن بلادهم ، شفاءً لنزعة التدين ، وقضاءً لحق الوطنية ، ينهض هذا النفر فيحتفل بذكرى قيام الخلافة الأموية بالاندلس تقديراً للجهود الانسانية ، وإعجاباً بالحضارة العربية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أليس حقيقاً ان نتحدث اليكم على ذكر هذه الحفلة يقوم بها اعداء تاريخنا بالامس ، واصدقاء حضارتنا اليوم ؟ بكلمة عن هذا البلد الطيب تكون كالعبرة والذكرى ليس الا ٠ اقول عبرةً وذكرى ، ذلك اني لا اطمع ان اقف فيكم موقف المؤرخ ، والكلام عن الاندلس حديثه وقديمه ، عربيه وغربيه ، مِلءُ الكتب وملءُ دورها ، فهل من سبيل الى غير مكرر ملول ؟ واذا كان من حاجة لمزيد في ناحية من نواحي تاريخ هذا القطر ، او في ما كان فيه من علم وادب ، وصناعة وزراعة ، وسائر مقومات العمران ، او كان في رجال هذا القطر ودولاته وسياسته ما تقتضي غوامضه شيأً من النور يكشف عن اسراره ، فهذا ما لا تتسع له المحاضرة والمحاضرتان ومن حق رجال التاريخ ان يفردوا لكل فرع من هذه الفروع التي اشرنا اليها كتاباً قائماً برأسه ، بل في رجال الاندلس من يستحق ان يؤلف فيه الكتاب المستقل ٠

اما انا ، فاكتفي بالعبرة ابسط فيها دخولنا الاندلس وخروجنا منه ، وقد توافقت فيهما الاسباب ، واتحدت العلل في القبيلين العرب والاسبان ، و بالذكرى أعيد عليكم فيها لمحة موجزة عن هذا التاريخ تكون كالفذلكة لهذه القرون الثمانية التي عمرنا فيها هذا القطر ٠ نسرد فيها الأحداث الخطيرة ، ونسلسل ادوار الحكم ، بما يمكن حفظه ٠

ولعل الموضوع يكون أقرب تناولاً ان نحن قسمناه الى خمسة أدوار ، نمهد له بمجمل تاريخي جغرافي عن الاندلس العربية وتاريخها القديم ، اما الادوار الخمسة فهي :

١ — الفتح واسبابه ٠
٢ — الحكم الأموي ٠
٣ — ملوك الطوائف ٠
٤ — حكم امراء المغرب المرابطين والموحدين ٠
٥ — الجلاء واثر العرب في الاندلس وعاداتهم واخلاقهم ٠

لمحة جغرافية : الاندلس او قندالوسيا اسم مقاطعة من شبه جزيرة « البيرانه » سميت قندالوسيا او قندالوشيا باسم القندال (Vandales) وهي امة نزلت شبه هذه الجزيرة في اوائل القرن الخامس ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقديماً عرفت هذه المقاطعة بـ (بتيكيا) (Bétique) باسم نهر بتيس (Bétis) الذي يرويها وهو وادي الكبير اليوم ·

مساحتها وحدودها : طول هذه الجزيرة من رأس بنياس في استوريا س (اشتوريش) شمالاً الى رأس طريف في بوغاز جبل طارق جنوباً ٥٤٠ ميلاً ومعظم عرضها من رأس كروس في قطلونية شرقاً الى قرب رأس فينستر في جليقية غرباً نحو ٦٣٠ ميلاً ·

و يحدها من الشمال سلسلة جبال البرانس الفاصلة بينها وبين فرنسا وهي بمثابة برزخ عرضه ٢٤٠ ميلاً و بحر بسكي المسمى بيحر فرنسا ومن الغرب الاوقيانوس الاتلانتيكي ومن الشرق والجنوب البحر المتوسط وبوغاز جبل طارق الفاصل بينها وبين افريقية ·

وتقدر مساحة هذه البلاد وما يتبعها من جزر متممة لها بنحو ستمائة الف كيلو متر مربع (٦٠٠٠٠٠) منها اليوم لاسبانيا (٥٠٤٥٢٠) كيلومتراً و(٩٢١٥٧) للبرتغال ·

ويقول جغرافيونا ان مسيرة دَوْرها اكثر من ثلاثة اشهر ليس فيها ما يتصل بالبر الى مقدار يومين ·

معادنها : وارضها غنية بالمعادن، منها : الرصاص ، والزئبق ، والتنك ، والحديد ، والفضة ، والنحاس ، والملح ، والفحم ، والرخام ، وحجر الدم · وقديماً استخرجوا منها الذهب ·

هواؤها : يختلف باختلاف اقاليمها فمنه الحار والمعتدل والبارد ·

لمحة تاريخية : دخل الفينيقيون هذا القطر سنة ١٠٠٠ قبل المسيح فأنشأوا في سواحلها مستعمرات عديدة منها : طرطوشة (Tartessus) وقادس · ثم تبعهم اليونان فبنوا ايضاً عدة مستعمرات منها : امبورية على ساحل قطلونية، وساغونتم (مربيدرو) في بلنسية · وظل داخل البلاد مجهولاً لم يعرفه الرومان الا في الحرب البونيقية الثانية ·

واطلق اليونان على الساحل الشرقي اسم ايبيريا ، وسموا القسم الغربي من شبه الجزيرة ترتشيش واوسطها كلتيكا ثم توسعوا بعد ذلك فأطلقوا لفظ ايبيريا على البلاد كلها ثم سماها الرومان اسبانيا [1]

(١) قيل اخذ هذا الاسم من لفظة (شافان) السامية ومعناها الارنب لكثرة ماوجد الفينيقيون منه في هذه البلاد · وقيل من لفظة (ازبانيا) البسكية ومعناها شاطئ ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن امم اسبانيا القديمة الاستوريون (Asturiens) كانت مواطنهم في استوريا س (Asturie) والقسم الشمالي من مملكة لاون، وكانت قاعدة بلادهم (استور يكااوغسطا) وهم آخر من خضع للرومان .

اما اول من عرف من سكان هذه الجزيرة فهم القلطبريون (Celtiberiens) وهم خليط من القلط (Celtes) والابير (Ybéres) ثم أنشأ الفينيقيون واليونان على ما قدمنا مستعمرات واسواقاً تجارية (وكالات تجارية) على شواطيء هذه الجزيرة . وفي القرن الخامس امتدت اليها سيادة قرطاجة (Carthage) الى ان تغلب عليها الرومان وظلوا اصحاب السلطان فيها الى ان غزاهم الهيلانيون (Alains) والسواف (Suaves) والفندال (Vandales) سنة ٤٠٩ وفي ذلك العصر ايضاً انشأ فيها القيز يقوط (Wisigoths) دولة عظيمة ما زالت قائمة الى ان قضى عليها العرب يوم استولوا على الاندلس في تموز من سنة ٧١١ بعد معركة شريش او شرش (كساريس Xérès) .

ملك العرب : دخل العرب اسبانيا فأطلقوا عليها اسم الاندلس ، اذ كانت هذه المقاطعة اول ما استولوا عليه من شبه هذه الجزيرة ، وغلبوا عليها اسم الجزيرة على اتصالها بالبر — كما سميت شبه جزيرة العرب ايضاً جزيرة .

وبسط العرب ملكهم على هذه الجزيرة جزرها و يابستها ، ساحلها وداخلها ، شرقها وغربها ، الا جزءاً يسيراً من الغرب الشمالي قرب خليج غاسقونيا في ولايات جبلية يسميها الاسبان استوريا س ، وسماها العرب اشتورش والصخرة .

عدد السكان : ليس عندنا ما نعول عليه في عدد سكان الاندلس ايام العرب فقد أوصله بعضهم الى العشرين مليوناً وهذا عدد نشك في صحته وان قيل « انه بلغ من عمران الاندلس ان كان على وادي الكبير اربعة عشر الف قرية حتى كان المسافر لا يكاد ينقطع من العمارة ما بين قرى ومياه ومزارع والصحاري معدومة » .

الفتح : قلنا : ان موسى بن نصير عامل الوليد بن عبدالملك على افريقية ، اغزى مولاه طريفاً الاندلس ، فسار في اربعة مراكب فيها اربعمائة رجل ومائة فارس فنزل في موضع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سمي به [١] على المضيق الذي عرف بعد ذلك بمضيق جبل طارق فأغار وأصاب شيئاً ثم رجع وذلك سنة ٩١ هـ .

وفي سنة الـ ٩٢ بعث موسى مولاه طارقاً في سبعة آلاف [٢] جلهم من البربر والموالي ليس فيهم عرب الا القليل . فنزل طارق جبلاً منيعاً على شاطئ البحر يعرف الى اليوم به . وجعلت السفن تختلف بالرجال والخيل حتى توافى اليه جميع اصحابه .

قيل وكان في جيش طارق بوليانوس احد رجالات اسبانيا [٣] في جماعة من اهل

---

(١) طريف او طريفة ثغر اسباني حصين على مضيق جبل طارق سكانه اليوم ١٢٥٠٠ فيه حصن منيع بناه العرب تكتنفه الاسوار المنيعة والابراج . وفي البلدة داخل السور ثغر مغربي اتخذوه الآن سجناً . وظلت طريف في حوزة العرب الى سنة ٦٩١ — ١٢٩٢ . وفي ايام العرب كانت السفن التي تجتاز مضيق جبل طارق تقف في طريف وتدفع رسماً ولهذا زعم بعض كتبة الفرنجة ان لفظة (Tarif) بمعنى التعرفة بالفرنسية والانكليزية وما اشبههما في اللغات الاوربية مأخوذ من لفظة طريف لتقاضي رسم السفن فيها . وكانت طريف من اعظم ثغور العرب شأناً في تلك الانحاء بل كانت أم تلك الثغور وربيئة لمن تولاها على بحر الزرقاء اه (لاروس ودائرة المعارف العربية) .

(٢) في دائرة المعارف العربية : ان طارقاً جاز في نحو ثلاثمائة فارس من العرب احتشد معهم من البربر نحو عشرة آلاف صيرهما عسكرين احدهما على نفسه ؟ ونزل به جبل الفتح وهو جبل طارق والآخر على طريف بن مالك النخعي ونزل به بمكان مدينة طريف ثم أداروا الاسوار على انفسهم للتحصن و بلغ الخبر رودريك فنهض اليهم بجيش يبلغ الاربعين الفاً فلقيهم في فحص شريش فهزمه طارق وطريف .

(٣) في صبح الاعشى الجزء الـ ٥ ص ٢٤٢ وبعض الكتب العربية : كان من سير الأعاجم ان يبعث اكابرهم باولادهم ذكوراً كانوا او أناثاً الى بلاط الملك ، ليتأدبوا بادبه ، و ينالوا من كرامته ، حتى اذا بلغوا أنكح بعضهم بعضاً استئلافاً لآبائهم . وكان للذريق عامل على سبتة من بر العُدوة يسمى يُليان ، وله ابنة فائقة الجمال ، فوجه بها الى دار لذريق على عادتهم في ذلك فوقع نظر لذريق عليها فأعجبته ، فاستكرهها على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البلد يدلهم على العورات ويتجسس لهم الاخبار .

وبلغ الامر رودريك (لذريق اورزريق) ملك طُليطُلة فجمع جموعه والتقى بطارق في موضع يقال له البحيرة ، فانهزم رودريك . وسار طارق متبعاً لاصحابه الى مضيق الجزيرة فمدينة إستجة فلقيه اهلها ومعهم من المنهزمين خلق كثير ، فقاتلوه قتالاً شديداً ثم انهزموا . ونزل طارق على عين بينها وبين مدينة استجة اربعة اميال فسميت عين طارق ، ومن استجة فرق جيوشه على مدن الاندلس ، فوجه فرقة الى قرطبة ، وأخرى الى ريّة ، وثالثة الى غرناطة ، وسار هو في عظم الجيش يريد طليطلة ففتحت كلها وكذلك تدمير . وخلى طارق رجالاً من اصحابه وسلك الى وادي الحجارة واستقبل الجبل فقطعه من فج يسمى فج طارق . فكان فتح الاندلس يوم الاحد في الخامس من شوال سنة اثنتين وتسعين .

وكتب طارق الى موسى بالفتح والغنائم ، فحركته الغيرة وكتب الى طارق يأمره ان لا يتجاوز مكانه حتى يصل اليه .

استخلف موسى على القيروان — عاصمة ولايته المغربية — ولده عبدالله ، ونهض سنة ثلاث وتسعين ومعه حبيب بن منده الفهري في جيش غفير من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر ، قيل انه ١٨ الفاً فأتم موسى الفتح متوغلاً الى برشلونة في المشرق واربونة في الجوف ، وصنم قادس في الغرب ، ثم أجمع ان يأتي الى المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام ويخوض مابينهما من أمم الأعاجم مجاهداً الى ان يلحق بدمشق دار الخلافة .

وبلغ ذلك الوليد فاشتد قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب ورأى ان ما هم به موسى

نفسها ، فاحتالت حتى أعلمت اباها بذلك سراً . فشق ذلك عليه وحلف ليزيلن سلطان لذريق ، ثم تلطف حتى اقتلع بنيه من بيت لذريق ، ثم لم يلبث يليان ان كتب الى موسى بن نصير امير افريقية من جهة الوليد بن عبدالملك يحرضه على غزو الاندلس ويحثه على ذلك ووصف له حسنها وفوائدها ، مادعاه الى ذلك وهوّن عليه امر فتحها ، فتوثق منه موسى ودعا مولى له كان على مقدّمانه يقال له (طارق بن زياد) فعقد له وبعثه اليها في سبعة آلاف ، وهيأ له بليان المراكب ...

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

غرر بالمسلمين ، فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف وامرّ الى سفيره ان يرجع بالمسلمين ان لم يرجع موسى عن عزمه ، فقفل لذلك موسى عن الاندلس وولى عليها ابنه عبد العزيز وانزله بمدينة قرطبة واتى القيروان سنة ٩٥ وارتحل الى الشرق سنة ٩٦ بما كان معه من الغنائم والذخائر والاموال ، وقدم على سليمان بن عبد الملك فسخطه ونكبه ....

اصبحت الجزيرة كلها في يد العرب الا ولايات جبلية أهمها اشتوريش وقنطبرية ونوارة التي لقبها العرب بالصخرة فانها دافعت عن استقلالها ولم يهم العرب امرها فخلوا عنها . فجعلت بلاجيوس ملكاً عليها ثم الفونس الاول الكاثوليكي من بعده فكانت هذه الصخرة الاساس الذي بنى الاسبان عليه ملكهم القومي اول فأول .

لقد أجملنا حكاية هذا الفتح فبقي علينا ان نذكر علله واسبابه ، وفي رأينا انها تنحصر في عوامل اربعة :

(١) العوامل الطبيعية . (٢) العوامل السياسية . (٣) العوامل الاقتصادية . (٤) العوامل الدينية . ونحن نجملون هذه العوامل من وجهتيها : الايجابية والسلبية .

العوامل الطبيعية : مجاورة الجزيرة الاندلسية لملك العرب في الغرب فلقد كان بين العدوتين مضيق لا يتجاوز عرضه في بعض المواضع اثني عشر ميلاً (نحو ١٢ كيلومتراً) بحيث يرى اهل الجانبين بعضهم بعضاً ويتبينون زروعهم وبيادرهم .

انكشاف البلاد للعرب وسهولة اجتيازها .

هذا ما سهل الفتح و يسر نقل المقاتلة من العدوة الى الجزيرة .

العوامل السياسية : توحيد امر العرب ، وتنظيم القيادة ، واعتيادهم على الجهاد ، وعدل امرائهم ، واشتهارهم بذلك . ومن الجهة الاخرى تضعضع حالة الاسبان لانقسامهم بعضهم على بعض ، مقاطعة وقومية ، وتشتت آرائهم في انتخاب ملوكهم ، وقيام بعضهم من جراء ذلك على البعض الآخر ، وخراب البلاد بالحروب الاهلية وظلم اولي الامر فيهم ، وسوء ادارتهم ، وإسرافهم في سفك الدماء ، واضطهاد اليهود واستباحة اموالهم وأرواحهم .

ظهر اثر هذه العوامل في تحريض نفر منهم العرب على فتح البلاد ، وفي ضعفهم عن مقاتلة العرب وفي التحاق قسم منهم بالفاتحين بدلونهم على عورات البلاد ، وقعود القسم الآخر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عن مقاومة تذكر ·

العوامل الاقتصادية : جهل الاسبان استثمار ارضهم، والمجاعة التي وقعت قبل الفتح، ونستطيع ان نضيف الى ذلك الوباء الذي أصاب هذه الجزيرة في ذلك العهد فذهب بعدد عظيم من السكان قدروه بالنصف ·

ثم رغبة العرب والبربر بما يجره الفتح من الكسب والغنائم ·

العوامل الدينية : انشقاق الاسبان بعضهم على بعض دينًا ·

ثم رغبة المسلمين في نشر دينهم وما نفثه هذا الدين في صدورهم من الايمان بالقضاء والقدر ·

هذا كله ساعد العرب على الفتح دع ما كان في صدور القواد من حب الشهرة · وهل وقف موسى طارقاً عن الفتح، وعزمه على التوغل في بلاد الأعاجم الى القسطنطينية الا دليل على ذلك ؟

« للبحث صلة »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net